مقدمة

يشغل تعلّم وتعليم التاريخ بشكل متزايد المجتمعات التي عانت من نزاعات داخلية، ومنها لبنان. وبعض هذه المجتمعات، بما فيها قبرص ورواندا وكرواتيا وجنوب أفريقيا وسريلانكا والبوسنة، على سبيل المثال، استخدم تعليم التاريخ إلى حد ما كوسيلة لتوطيد السلم الأهلي وإعادة بناء المجتمع. ولكن هذا ليس بالأمر اليسير، إذ تبرز التحديات حين يظهر التباين بين الجماعات التي كانت أطرافاً في النزاع حول اختيار المواضيع وسرد الروايات التاريخية. وهذا، إلى جانب المقاربات وأساليب التعليم وطرق التقييم المعتمدة كثيراً ما يؤدي إلى إثارة حساسيات داخل غرفة الصف. وبالفعل، آثر بعض معلمي التاريخ، في لبنان وغيره من البلدان، أن يبتعدوا عن الأنشطة التعليمية التي قد تثير الجدل بين الطلبة وأن يلجؤوا إلى «التلقين للحفظ» و«التعليم لاجتياز الامتحان» كمقاربة أضمن لتعلّم التاريخ.

لقد واجه تعليم التاريخ في لبنان تحديات مزمنة. وتقدمت هذه التحديات إلى الواجهة خلال الحرب الأهلية، عندما أنتجت عدة مجموعات طائفية وسياسية رواياتها التاريخية الخاصة وتولت تعليمها بما يلائم جماعتها. ولدى وضع اتفاقية الطائف التي تبعت الصراع المسلّح على مدى ١٥ سنة (١٩٧٥-١٩٨٩)، نصت الاتفاقية على ضرورة توحيد كتاب التاريخ المدرسي بغية الوصول إلى سلام دائم. والآن، بعد عقدين من هذا الاتفاق، ما زال لبنان بدون كتاب موحّد للتاريخ. أضف إلى ذلك أن العديد من المدارس ما زال إلى حد بعيد يتبنى المقاربات التقليدية للتعلّم والتعليم. وإذ سادت هذه المقاربات التقليدية، حصل ركود بما يتعلق بأوضاع تعلم التاريخ وتعليمه، فظلت مسائل عدة دون درس ومعالجة، كمسألة مبررات توحيد كتاب التاريخ، ومسألة فاعلية منهج مبني على محتوى المادة التاريخية دون النظر في اعتماد طرق حديثة في تعلّم التاريخ قائمة على التساؤل والبحث والمناظرة ودراسة الموضوع من وجهات نظر متعددة.

هذا الوضع المتأزم لمنهج التاريخ وأساليب تعليمه ووسائل تعلّمه من كتب وغيرها

حدا بالهيئة اللبنانية للعلوم التربوية إلى الدعوة إلى مؤتمر يدرس هذه المسائل ويرسم خطوطاً لمعالجتها. وحرصت الهيئة على دعوة مشاركين من بعض البلدان الأوروبية والعربية للتعرف إلى تجاربهم.

الإعداد للمؤتمر

وجهت لجنة المؤتمر الدعوة إلى عدد من الباحثين والتربويين والمعلمين وطلاب الدراسات العليا لتقديم اقتراحات لأوراق قد يرغبون في إعدادها حول قضايا ذات علاقة بتعليم التاريخ على الصعد الوطنية والدولية. وأبدت اللجنة ترحيبها بتسلّم مقترحات تأخذ أحد الأشكال التالية:

أ) مقالات نظرية تحليلية تتعلق بالمفاهيم.

ب) دراسات أمبيريقية (empirical studies).

ج) تقارير عن تجارب وممارسات في المدرسة والصف مبنية على دلائل.

وشملت الدعوة إلى المشاركين لائحة مواضيع مترابطة، منها: منهاج مادة التاريخ، مقاربات التعلّم، موارد التعلّم، ومخرجات التعلّم.

إستلمت اللجنة خلال شهرين أكثر من ستين اقتراحاً من مرشحين محليين وإقليميين ودوليين. من مجموعة الاقتراحات التي تلقيناها حرصنا على أن تشتمل كل مجموعة من المواضيع على مقالات جامعية أكاديمية ومقالات تعرض ممارسات تعليمية. واعتمدنا عنصراً حاسماً في معايير الانتقاء هو وجود الأدلة لتأييد الأقوال بالإضافة إلى منهجية واضحة وسليمة. انتهينا إلى لائحة من عشر أوراق من الخارج وعدد وافر من الأوراق والمقالات من باحثين لبنانيين تناولوا فيها مشكلات منهج التاريخ في لبنان ومواقفهم منها. بالإضافة إلى ذلك، أرسل عدد كبير من المعلمين مقالات تعرض خبراتهم ورؤيتهم عما يجب أن يكون عليه تعليم التاريخ. ولكن قلّة من هذه المساهمات كانت مبنية على بحث تجريبي أو معتمدة على بيّنات. لذلك عملت اللجنة مع بعض المعلمين على صقل خلاصاتهم وتضمينها أمثلة حسية عن تجاربهم وممارساتهم التعليمية.

صادف انعقاد المؤتمر، «**تعلّم مادة التاريخ وتعليمها: دروس من لبنان وللبنان**» (**٢٥-٢٦ آذار/ مارس**)، في وقت دقيق، إذ كانت وزارة التربية والتعليم العالي قد أنجزت منذ فترة وجيزة مسودة مشروع منهاج معدل لمادة التاريخ للصف الثاني حتى التاسع الأساسي. وقد التقى في المؤتمر باحثون وتربويون ورسميون لمدة يومين

وتدارسوا المقاربات والخبرات التربوية الهادفة إلى تشجيع التفكير النقدي والمشاركة الحوارية والمواطنية الناشطة والتماسك الاجتماعي عن طريق التربية في مادة التاريخ. بالإضافة إلى الخبرات اللبنانية أتت مساهمات أيضاً من المملكة المتحدة وقبرص وألمانيا وهولندا ومصر والعراق. وكانت النتيجة أن تحول كل يوم من يومي المؤتمر إلى مسار ماراتوني على مدى ١٢ ساعة سادها تبادل الخبرات ومناقشة المفاهيم وحوارات فكرية مشوقة.

البرنامج

خلال يومي انعقاد المؤتمر سجّل مئتا شخص للحضور في اليوم الأول، و١٢٠ لليوم الثاني، منهم ٧٢ حضروا في كلا اليومين. في اليوم الأول قاد المناقشات والمداخلات باحثون وجامعيون، بينما ازداد التركيز في اليوم الثاني على صف التاريخ من حيث الأساليب التربوية والنشاطات التي تجري فيه. افتتح المؤتمر بكلمة ترحيب من الدكتور رؤوف الغصيني، رئيس الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، ثم ألقت السيدة إلسا فونيه، القائمة بأعمال مفوضية الاتحاد الأوروبي إلى لبنان، كلمة أكدت فيها اهتمام الاتحاد الأوروبي بتعليم التاريخ كوسيلة لتعزيز المواطنية، وكانت بعد ذلك كلمة لمعالي الدكتور حسن منيمنة، وزير التربية والتعليم العالي آنئذٍ، شدّد فيها على أهمية موضوع المؤتمر وأعرب عن سروره بإنجاز منهج التاريخ الجديد الذي اقترحته وزارة التربية.

وألقى الدكتور آرثر تشابمان من المملكة المتحدة، وهو أكاديمي فاعل ومعتبر في حقل تعليم التاريخ، المحاضرة الرئيسية الافتتاحية فقدّم تحليلاً للأدلة التي تبيّن كيف ينمو فهم الطلاب إذ يتعلمون التاريخ. تبعت ذلك سلسلة من ثلاث جلسات. الجلسة الأولى، تعليم التاريخ: مشكلات وطروحات، عرضت مشكلات عامة من منظور عراقي وطروحات جديدة حول تعليم التاريخ في لبنان. الجلسة الثانية أتت بمنظور أوروبي من قبرص وألمانيا والرابطة الأوروبية لمعلمي التاريخ (EUROCLIO) مع خبرات قيّمة في تعليم التاريخ في مجتمعات خارجة من نزاعات. الجلسة الثالثة تكرست بالتحديد لمداخلات ونقاشات حول توحيد كتاب التاريخ للمدارس اللبنانية. وعقدت في المساء جلسة خاصة للتعرّف إلى مناهج التاريخ الجديدة المقترحة ومناقشتها.

في اليوم الثاني يسّرت الدكتورة كريستين كاونسل من جامعة كامبردج سلسلة من النشاطات للتعلم عن طريق استخدام مفاهيم من الدرجة الثانية (second order

concepts) لتفعيل النقاش والتفكير النقدي. وتبع هذا جلستان. الأولى ركّزت على مقاربات في تعليم التاريخ، والثانية على مبادرات تطويرية في تدريس التاريخ: خبرات ميدانية. أنتجت الجلستان نقاشات قوّت الربط بين الحوارات التي جرت في اليوم الأول حول مفاهيم تعليم التاريخ. بعد الغداء، عُقدت نقاشات حول طاولات مستديرة متزامنة في صالتين كبيرتين وتناولت تجارب مميزة من غرفة الصف. فعرض معلمون من لبنان من مؤسسات تربوية متنوعة تجاربهم وملاحظاتهم ونتج عنها حوارات مطولة وحيوية. ثم كانت جلسة ختامية على طريقة «المقهى العالمي» (world café) استعرض فيها المجتمعون الأفكار والملاحظات الهامة والأساليب والوسائل التي اكتسبوها من المؤتمر والتي ستسهم في تطوير عملهم. كما بحثوا في الفرص والوسائل الممكنة لتشبيك العاملين في تدريس مادة التاريخ لضمان استمرار التواصل بينهم. وانتهى المجتمعون إلى وضع لائحة مفصلة بالتوصيات التي من شأنها تطوير تدريس مادة التاريخ في لبنان. وكان بالواقع مشهداً رائعاً رؤية الشمس وهي تغيب من خلال نوافذ الفندق العملاقة في حين استمر أكثر من سبعين متحمساً لمادة التاريخ، يمثلون المعلمين والأساتذة الجامعيين على أفضل وجه، وهم يتبادلون الخبرات والنقاش حتى السابعة والنصف مساء.

إن هذا الكتاب يضم الأوراق التي قدمت في المؤتمر والتقارير وخلاصة المناقشات التي جرت في جلسة الطاولات المستديرة، كما يضم الملاحظات والتوصيات التي تقدم بها المشاركون في الجلسة الختامية. لقد سجل المؤتمر بكامله تسجيلاً صوتياً رقمياً وترجم في الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية. وكل الأوراق التي قُدمت باللغة الإنكليزية عرّبت كاملة، أما المساهمات باللغة العربية فقد تُرجمت خلاصات عنها إلى الإنكليزية. كما يشتمل المجلد أيضاً على ترجمات باللغة الفرنسية لخلاصات عن كل المواضيع التي قدمت. ولتسهيل متابعة أية استفسارات أخرى بخصوص المواضيع أعطيت تفاصيل طرق الاتصال بالمؤلفين.

ملاحظات ختامية

ليس من اليسير في إعداد هذا المجلد عن وقائع المؤتمر أن ننقل بالتفصيل مجرياته وحرارة مناقشاته وحماسة المشاركين فيه لدى التعبير عن أفكارهم ومواقفهم. لذلك، تقتصر الوقائع على الأوراق التي قدمت وخلاصة المناقشات والمقترحات.

لقد برز من خلال نشاطات المؤتمر اتجاهان مترابطان. رأينا أولاً أن النقاشات حول تعليم التاريخ تركّز ثقلها على المواقف تجاه محتوى كتاب التاريخ المدرسي. وتمحور النقاش في المؤتمر حول أفضلية إصدار كتاب مدرسي موحّد، أو منهج موّحد في كتب متنوعة، أو كتب مدرسية متعددة. وكان لكل من هذه المواقف مناصروها بين المشاركين في المؤتمر، ما يدل على أن هذه المسألة ما زالت موضع سجال بين المعنيين، مع العلم أن الموقف الرسمي ملتزم بكتاب موحّد وفق اتفاق الطائف.

أما الاتجاه الثاني فركز على بيداغوجية تعليم التاريخ بما يتجاوز التلقين والحفظ والاسترجاع إلى مهارات التحليل والتعليل والمقارنة والاستنتاج. فمنذ استقلال لبنان قبل أكثر من ٦٠ عاما، كان هم المربين يدور حول ما يجب إدخاله في منهج التاريخ، في حين أهمل السؤال حول كيف يجب أن يحصل التعليم. حاولنا معالجة هذا الموضوع، موضوع «كيف» يجب أن يحصل التعليم، عن طريق دعوة الذين هم من خارج لبنان ليشاطرونا مقارباتهم للتعلم في الصف ودعوة معلمين من لبنان ليتحدثوا عن أساليبهم في التعليم وخبراتهم مع الطلاب. لقد نقل التشابك في النقاشات بوضوح صورة عن الخطوط الإيديولوجية المتواجهة بموضوع المحتوى في مادة التاريخ وكشف إلى أي مدى ما زال ضروريا تفحّص المقاربات لموضوع تعلّم التاريخ وتدارسها على صعيد المدرسة والمؤسسات الرسمية والخاصة. نرجو أن يشكل هذا الكتاب دافعا نحو توسيع شبكة المتحمسين لتعليم التاريخ وأن يساعد في بناء مجموعات التعلّم المكونة من المعلمين والطلاب، داخل صف التاريخ وخارجه.

شكر خاص

تود الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية التعبير عن شكرها الحارّ للاتحاد الأوروبي وللوكالة الأميركية للتنمية الدولية ومؤسسة أميديست لمساعدتها على تأمين مستلزمات المؤتمر ونشر هذا الكتاب.

هيئة التحرير